الأمـــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فالأمل كمامها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديق مُسَيِّه : الله في السماء والأمل في الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسي ، ومَدد الرجاء الآسي ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الكروان يموت فرخه في المساء وفي الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها في الحظيرة وفي المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزع من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب في ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل في انتظار الربيع !

لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .

ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الواهية إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت في عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر في نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذي سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذي سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالي على الصور والآثار حتى تنطمس المشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة في الأفق الطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهي بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان في اليوم قنوط ففي الغد رجاء ، وإذا لم تكن لي الأرض فستكون لي السماء !

ابن عبد الملك